جورجيو اغامبين: فلسفة الاستثناء والامبريالية الصحية - كارثة كوفيد ١٩

د. مظهر محمد صالح

٥ كانون الثاني ٢٠٢٥

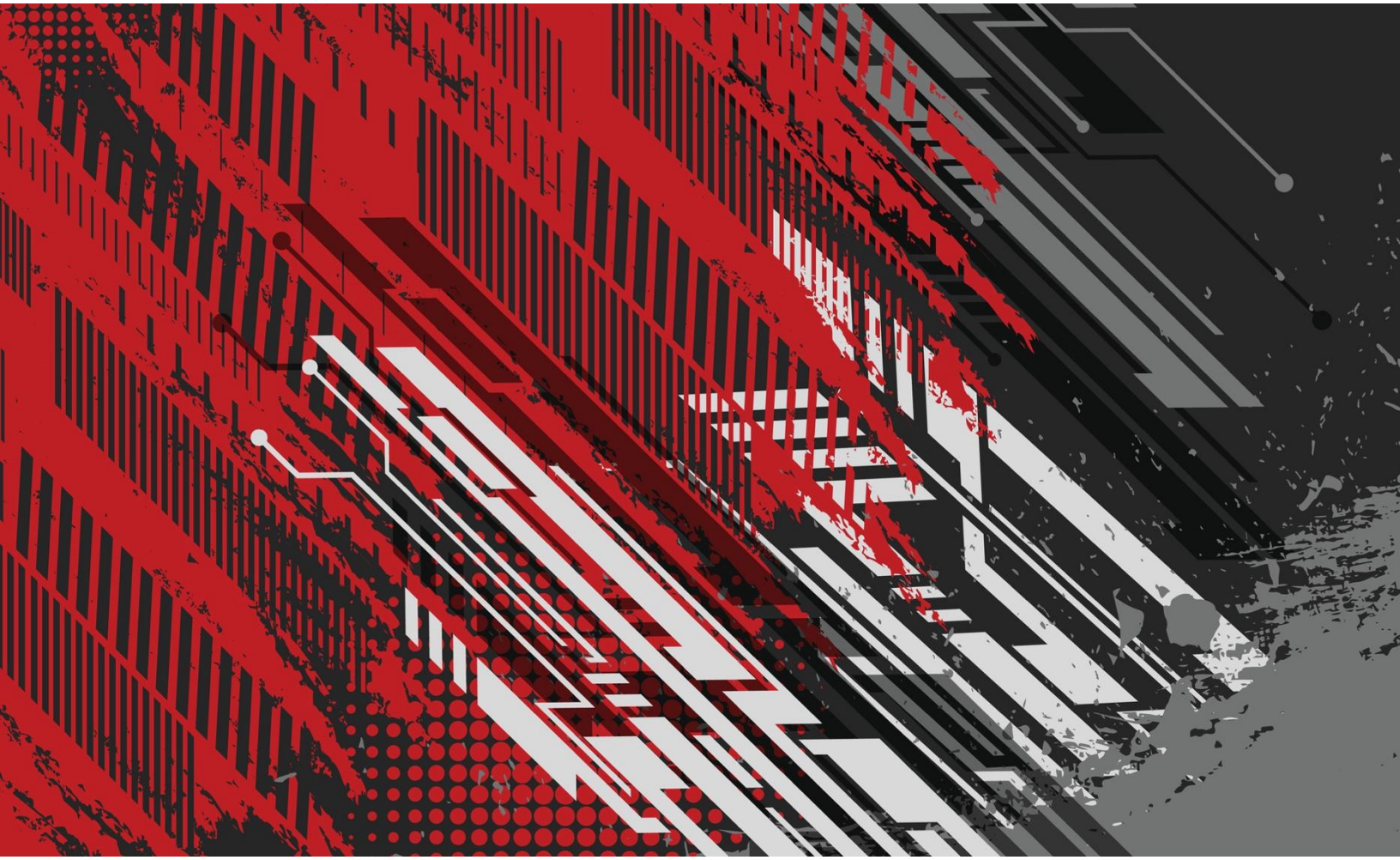

جميع الحقوق محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين

العنوان:
جورجيو اغامبين: فلسفة الاستثناء والامبريالية الصحية - كارثة كوفيد 19

نوع الإصدار:

مقال رأي

الموضوع:

الصحة العامة – القطاع الصحي - كوفيد ١٩

الكاتب:
د. مظهر محمد صالح

التاريخ:
٥ كانون الثاني ٢٠٢٥

عن الشبكة:

تهدف شبكة الاقتصاديين العراقيين الى التأسيس لمرجعية اقتصادية في العراق تعمل على اعطاء الاولوية للاقتصاد قبل السياسة وتنشر الثقافة الاقتصادية بين افراد الطبقة السياسية خاصة وأفراد المجتمع العراقي عامةً متبنّية خطابا اقتصاديا علميا وساعية الى موقعاً مؤثراً في الرأي العام والمجتمع العراقي يمكنها من إيصال كلمتها الى صاحب القرار السياسي والتأثير على قرارات السياسة الاقتصادية.

ملاحظة:
لا تعبر الآراء الواردة في الإصدار بالضرورة عن آراء اتجاهات تتباها الشبكة، وانما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2025 | iraqieconomists.net |info@iraqieconoists.net | الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٦٦٢٩٦٦٠٠+| منذ عام ٢٠٠٩

جورجيو اغامبين: فلسفة الاستثناء والامبريالية الصحية – كارثة كوفيد ١٩

تمهيد:

لم تمر جائحة كورونا او كوفيد 19 التي قاد ادارتها العالم الرأسمالي بتفوق في مختبر خضعت البشرية كلها لاعتبار واحد جسدهُ فيلسوف ايطاليا جورجيو اغامبين Giorgio Agamben مستلهماً من فكرة الإنسان المقدس (Homo Sacer) اللاتينية: اي "الرجل المقدس" أو حتى "الرجل الملعون".

فهو في القانون الروماني: شخص محظور وقد يقتله أي شخص، ولكن لا يجوز التضحية به في طقوس دينية. اذ يتخذ الفيلسوف الإيطالي جورجيو اغامبين هذا المفهوم كنقطة بداية لعمله الرئيس، الإنسان المقدس ليتناول فكرة السلطة السيادية والحياة العارية في كتابه الشهير الصادر في العام ١٩٩٨ (فعبارة "Bare Life" الحياة العارية) قد وردت في كتاب جورجيو اغامبين نفسه بعنوان "Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life ففي هذا الكتاب، يناقش اغامبين مفهوم الحياة العارية بوصفها حالة يكون فيها الإنسان كيان بيولوجي، مجرد من الحقوق السياسية والاجتماعية، ويكون عرضة للسلطة المطلقة.

اذ يتناول الكتاب العلاقة بين السيادة والقانون والحياة الإنسانية، متأثراً بأفكار كارل شميدت وميشيل فوكو البيولوجيا السياسية Biopolitics، وهو المصطلح الذي طوره الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو في سبعينيات القرن الماضي ليصف فوكو الطريقة التي تدير بها الحكومات والمجتمعات حياة الأفراد على مستوى بيولوجي وحيوي، إضافة إلى تنظيمها الاجتماعي والسياسي.
اذ يشير فوكو إلى أن السلطة في العصر الحديث لم تعد تقتصر فقط على السيطرة على الأفراد من خلال التشريعات والقوانين، بل تشمل أيضاً إدارة حياتهم البيولوجية، مثل الصحة، التناسل، التغذية والنمو، مما يخلق علاقة بين الدولة والجسد البشري.

وفي اعتقادي اضيف ان جورجيو اغامبين قد تأثر كذلك بفيلسوف فرنسا (لويس التوسير) في فكرة الاستجواب Interpolation عند تناوله لفكرة الاستثناء. اذ ينصرف الاستثناء Exception عند اغامبين محللاً كيف تستخدم الأنظمة السياسية حالات الطوارئ لتبرير التعليق المؤقت للقانون وفرض سيطرة شاملة على حياة الأفراد، وهي أفكار تبرز في كتابه "State of Exception " فبين فوكو و اولتوسير و جورجيو اغامبين في فلسفة الاستثناء، خيط واحد يمثل الحركة البنيوية الجديدة.

ولأدراك مفهوم "الحياة العارية" (Bare Life)عمق، يصبح من المهم الإشارة إلى السياقات التي يستعملها اغامبين وتحليل جذوره الفلسفية والقانونية. فقد قدمت جائحة كوفيد-19 مثالاً حياً يمكن من خلاله تحليل فكرة جورجيو اغامبين لمفهوم "الحياة العارية" وحالة الاستثناء معاً، اذ كتب اغامبين نفسه عدة مقالات خلال الجائحة أثارت جدلاً واسعاً، حيث انتقد الاستجابات الحكومية للجائحة باعتبارها أمثلة على تحويل المجتمعات إلى مساحات تسيطر فيها (البيولوجية السياسية) والتي سنأتي عليها تباعاً.

معنى الحياة العارية وفقاً لاغامبين:

يشير فيلسوف ايطاليا الى معنى الحياة العارية Bare Life بوصفها الحياة الانسانية التي تم تجريدها من كل الحقوق والاعتبارات السياسية والاجتماعية، بحيث تصبح مجرد وجود بيولوجي (مثل الحياة الحيوانية) بدون حماية قانونية أو سياسية. اذ تنشا هذه الحالة عندما يُستثنى شخص أو مجموعة من الناس من النظام القانوني والسياسي، ليصبحوا في وضعية استثنائية (Exception) تتيح للسلطة التعامل معهم دون أي قيود قانونية. وهنا يستلهم اغامبين مفهومه من الفيلسوف الروماني القديم هومو ساكر (Homo Sacer)، الذي كان شخصية تُستثنى من الحماية القانونية ويمكن قتلها دون أن يُعتبر ذلك جريمة، لكنها في الوقت نفسه لا تصلح كقربان أو تضحية دينية.

فمثلما يستعير اغامبين مفاهيم من كارل شميدت، الذي ركز على فكرة "السيادة" و"الاستثناء"، ومن ميشيل فوكو، حول "البيوسياسة" (Biopolitic)، حيث تتحكم السلطة في الحياة البيولوجية للأفراد كما ذكرنا، فأرى من جانبي ان اغامبين لم يكن مبتعدا عن فكرة الاستجواب لفيلسوف فرنسا لويس التوسير وهو من الماركسيين الجدد او البنائين في تحليل مفهوم السلطة عبر طرح فكرة الاستجواب.

فالاستجواب (Interpellation) هو مفهوم محوري في فكر الفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسير، وهو جزء من نظريته في الأيديولوجيا. حيث استخدم ألتوسير هذا المفهوم لتفسير كيفية تشكيل الأفراد كذوات في سياق الأيديولوجيا. ببساطة، يشير الاستجواب إلى الطريقة التي "تدعو" بها الأيديولوجيا الأفراد وتُشعرهم بأنهم جزء من نظام اجتماعي معين، مما يجعلهم "يخضعون" دون وعي لهذا النظام وهو الاستجواب Interpellation
اذ يرى ألتوسير في الاستجواب أن الأيديولوجيا ليست مجرد أفكار أو معتقدات، بل هي نظام رمزي يعمل على تشكيل الأفراد ليصبحوا "ذوات" (Subjects) وفقًا لقواعد النظام الاجتماعي.

حيث تُرسِّخ الأنظمة الأيديولوجية السيطرة الاجتماعية، ليس من خلال القوة المباشرة، بل من خلال جعل الأفراد يشعرون بأنهم يتصرفون بحرية، بينما هم في الواقع يتصرفون وفقًا لقواعد الأيديولوجيا. وهنا يبرز دور المؤسسات (كالمدرسة، الكنيسة، الإعلام والأسرة وغيرها) في عملية الاستجواب، حيث تعمل كأجهزة أيديولوجية للدولة تُعيد إنتاج الأيديولوجيا باستمرار.

وهكذا فان ثلاثية (الاستثناء والاستجواب والبيولوجية السياسية) هي خلاصة واحدة في نظرية جورجيو اغامبين Giorgio Agamben في تجسد الحياة العارية كما ارى في ذلك.

عولمة نظرية الاستثناء عند جورجيو اغامبين Agamben Giorgio الجائحة انموذجاً:

يرى اغامبين أن السلطة السيادية ترتبط بشكل وثيق بقدرتها على إعلان "حالة الاستثناء" (State of Exception)، وهي الحالة التي يتم فيها تعليق القوانين العادية بحجة الحفاظ على النظام. ففي هذه الحالة، يمكن للسيادة أن تمارس سلطة مطلقة على الأفراد أو الجماعات، حيث يتم تقليص الإنسان إلى حالة "الحياة العارية".

وهنا يطرح اغامبين امثلة معاصرة يُطبق فيها مفهوم الاستثناء على معسكرات الاعتقال (مثل معسكرات النازيين) أو مراكز احتجاز اللاجئين، وانتهاءً بالإغلاق Closed Down الذي فرضته الحياة السياسية والاقتصادية والصحية عالميا في جائحة كوفيد ١٩ حيث أصبح الناس خارج نطاق الحماية القانونية والاجتماعية بدرجات متفاوتة.

اذ يرى الكاتب أن هذه المواقع تمثل مثالاً ملموساً على كيفية تجريد الأفراد من حقوقهم ليصبحوا "أجساداً فقط"،
خاضعين للسلطة المطلقة او الحياة العارية Bare Life داخل النظام الرأسمالي كمنظومة امبريالية توفر اهم النصوص الفلسفية في الفهم المعاصر للعلاقة بين القانون والسياسة والاقتصاد والحياة التي امست تبررها حالات الطوارئ المعولمة Global Emergencies وغلق العالم وسلاسل التوريد فيه مثلما تبررها الحروب العالمية Global Wars.

لذا فان الحياة العارية هي نفسها التي تجسد ديدن عالم ما بعد الامبريالية وهو تطبيق الاستثناء وتحولها من حالة الفرد والمجتمع والدولة ليدخل العالم كله بالاستثناء المعولم Global Exception لتدوير الفائض الاقتصادي ونهب التراكم الرأسمالي والاحكام عليه والذي كانت جائحة كورونا او كوفيد ١٩ هي الاستثناء الامبريالي المصطنع بعينه.

اذ طرح اغامبين مفهوم "الحياة العارية" كأداة لصياغة الجدال الفلسفي حول الحقوق والسيادة والحرية في ظل الأنظمة الحديثة التي تبرر أفعالها بحالة الطوارئ. ومنها ما جرى في الاغلاق العالمي في COVID19 وهو ما سيدعونا الدخول بتحليل ما يسمى بالحياة العارية الموسعة المعولمة Augmented Global Bare Life التي طبقتها العولمة الرأسمالية لنظرية جورجيو اغامبين Giorgio Agamben في فلسفة الاستثناء.

فمع انتشار كوفيد ١٩ ، أعلنت العديد من الدول حالة الطوارئ وفرضت إجراءات استثنائية، مثل:

- الإغلاق التام.
- الحجر الصحي.
- تقييد حرية التنقل.
- فرض المراقبة الرقمية (تتبع الأفراد)

هذه الإجراءات، وفقاً لاغامبين، هي تعبير عن "حالة الاستثناء"، حيث يتم تعليق القوانين العادية باسم حماية الصحة العامة، ويرى اغامبين أن حالة الاستثناء تلك قد أصبحت قاعدة دائمة في المجتمعات الحديثة، حيث تُستخدم الأزمات (سواء كانت أوبئة أو تهديدات أمنية) لتوسيع سلطة الدولة الامبريالية.

وبناء على ما تقدم تم تقليص الإنسان إلى "الحياة العارية" ولاسيما في ظل الجائحة كوفيد ١٩يوم تم التركيز بشكل أساسي على الحياة البيولوجية، أي الحفاظ على الأفراد ككيانات بيولوجية (منع الموت وانتشار المرض)، بينما تم تجاهل الجوانب الأخرى من الحياة البشرية، مثل:

- الحياة الاجتماعية.
- الحقوق السياسية.
- الحريات الفردية.

اذ يرى اغامبين، ان هذه الإجراءات تعكس العقلية التي تُقلص الإنسان إلى مجرد "جسد حي"، هدفه الأساسي البقاء على قيد الحياة، بينما يتم تجاهل أبعاده الأخرى ككائن سياسي واجتماعي.

الحياة العارية للإمبريالية الصحية: من الصراع الطبقي الى التحول الاجتماعي:

أ- تقدم جائحة كوفيد ١٩ مثالاً حياً يمكن من خلاله تطبيق تحليل جورجيو اغامبين لمفهوم "الحياة العارية" وحالة الاستثناء. اذ تناول اغامبين نفسه وكتب مقالات عدة خلال الجائحة أثارت جدلاً واسعاً، حيث انتقد الاستجابات الحكومية للجائحة باعتبارها أمثلة على تحويل المجتمعات إلى مساحات تسيطر فيها البيولوجية السياسة، ما دعانا نتناول هذه العلاقة بشكل مفصل في تطور الحياة العارية للنظام الرأسمالي الامبريالي في ظل سيادة الاستثناء المعولم.

فجائحة كوفيد ١٩ قد قدمت مثالاً حياً يمكن من خلاله تطبيق تحليل جورجيو اغامبين لمفهوم "الحياة العارية" وحالة الاستثناء، بعد ان تحولت الحكومات حول العالم إلى إدارة للأجساد والوفيات.
ثم التعامل مع الإنسان باعتباره مجرد كائن بيولوجي، بينما تراجعت أولويات أخرى مثل الحريات الثقافية والدينية والسياسية.

وهنا نسلط الضوء على تطور الرأسمالية المالية Financial Capitalism في مرحلة الحرب البيولوجية العالمية الصامتة Silent Global Biological Warefare اي حالة الاستثناء البيولوجي المعولم .فمع انتشار كوفيد ١٩، كحالة استثناء أعلنت العديد من الدول حالة الطوارئ وفرضت إجراءات استثنائية، مثل الإغلاق التام والحجر الصحي وتقييد حرية التنقل والرقابة الرقمية على الافراد والمجتمعات كما ذكرنا انفاً.

وان جميع هذه الإجراءات وفقاً لاغامبين، هي تعبير عن "حالة الاستثناء"، حيث يتم تعليق القوانين العادية باسم حماية الصحة العامة، يوم حولت السلطات البشر إلى (حياة عارية Life Bare) تدار عبر الإجراءات الصحية فحسب.

في وقتٍ عززت فيه السيطرة البيوسياسية، وأصبحت الأجساد موضوعاً للإدارة الشاملة. اذ يرى اغامبين أن حالة الاستثناء أصبحت قاعدة دائمة في المجتمعات الحديثة، حيث تُستخدم الأزمات (سواء كانت أوبئة أو تهديدات أمنية) لتوسيع سلطة الدولة والدولة الامبريالية المركزية من وجهة نظرنا.
ب- بناء على ما تقدم، مازال يتوجه الصراع الراهن في معسكر رأس المال المركزي نحو انتزاع الارباح وتدويرها بمعدلات تراكم عالية صوب تعاظم راس المال الصحي الاحتكاري وتوجهاته الحالية، بالاستحواذ على فرص الربح او الفائض ذلك بالسعي الحثيث في تكوين بيئة عمل واستهلاك ومعيشة مستقبلية لتحويل الفائض الرأسمالي في القطاعات المنتجة الاخرى.

اي قمع فرص التراكم المادي في تلك القطاعات وتقييد فرص الربح فيها وامتصاصه كقوى تراكم تحويلية باستمرار كي لا يصب في مصلحة القطاعات غير الصحية المحتكرة.

وان جميع هذه التحركات في القطاع الصحي الاحتكاري ستظل اداة تقود الصراع بين حقوق العمل والعمال المستجدة لتامين مقومات الحياة من جهة، وبين معسكر رأس المال المتصارع على الفائض نفسه من جهة اخرى.

فثمة صراعين في قوى الانتاج وعلاقات الانتاج ويمثلان اساس البنية التحتية للمادية التاريخية Historical Materialism لمرحلة ما بعد الازمة الصحية العالمية (كورونا) وهما صراع قوة العمل مع المرض من اجل البقاء، وهنا تسعى قوة العمل لحفظ حقوقها بتعظيم الاجر التعويضي عن خسارة ساعات العمل وارتفاع تكاليف العيش ضد الوباء، وصراع آخر هو اشد خطورة داخل معسكر راس المال نفسه يتمثل بالصراع من اجل البقاء على تقاسم الفوائض التي تتراكم في مرحلة الحرب ضد كارثة كورونا. وهذا سيقودنا الى تحليل مستوى الصراع داخل معسكر راس المال المركزي الى مرحلتين:

المرحلة الاولى للصراع / نشوء النظام الامبيريالي الصحي:

وهي مرحلة مبكرة ابتدأت فيها قطاعات رأسمالية جديدة تتمحور حول ملاذات شديدة الكثافة الربحية والعائد على راس المال لإنتاج الفائض الرأسمالي السريع على حساب خسارة وركود قطاعات امست ضحية لمرض كورونا وتعطل النشاط الانتاجي فيها وتولدت لديها محددات وقيود تنظيمية وعمالية واجرية جديدة لمصلحة استرخاء وبزوغ رأسمالية محتكرة رابحة جديدة ايضاً يمكن تسميتها بالإمبريالية الصحية (Health Imperialism) ذلك وبمختلف مؤسساتها التكنولوجية والتمويلية والانتاجية، لتصبح تلك الامبريالية نمط انتاج رأسمالي مختلف لعالم جديد متفوق في انتاج سلاسل دوائية لا تنتهي وانماط تغذية تتسع مع تراكم فوائض وارباح الامبريالية الصحية نفسها.

ان تبدل راس المال وتحوله داخل معسكرات صراعه المركزية الى تبدلات حتمية في البنى الفوقية وفي طرازات البيئة والحياة والتكيف، سيؤدي بلا شك الى دخول عالم عيش واستهلاك جديد هو عالم ابعاد شبح العدوى في عملية استهلاكية -انتاجية تتولى تدريجياً الهيمنة على الفوائض الاقتصادية واستقطابها وتحويلها الى فوائض وتراكمات كبرى داخل النظام الامبريالي الصحي الجديد. اي ولادة آليات انتقال كبرى داخل البنية التحتية الرأسمالية وفي مادية تاريخية تتعدى كفاح الرأسمالية نفسها وصراعاتها من اجل البقاء Conflicts Survive

وعلى حساب او مصلحة انهيار او انحسار فوائض وارباح القطاعات المنتجة غير الصحية التي ستخضع بشدة لمطالب العاملين العالية الكلفة فيها جراء المطالبة الاجرية بإدغام كلفة القطاع التغذوي والصحي وتأميناتهما الاجتماعية في كلفة العيش وقيمة الاجر نفسه (وهو صراع آخر من اجل البقاء)

فضلاً عن تبدل سياسات الاقراض في القطاع المالي وحصول تحول بنيوي في القطاع الرمزي Token Economy نفسه كجزء من بيئات العمل الرأسمالي المتجددة .لذا سيكون قيد (الكلفة الوقائية Preventive Cost Constraint) في القطاع الرأسمالي غير الصحي المنتج بمثابة قيد كلفوي على حساب الارباح الهشة في تلك القطاعات متسبباً لامحالة بنقل الفوائض من القطاعات السلعية والخدمية غير الصحية وبتلقائية عالية الى الامبراطورية الصحية كرأسمالية جديدة شديدة الاستغلال والتراكم وبمنتجاتها التي امست تُستهلك (كحتمية اقتصادية) بين الحياة او الموت.

كما ستتكيف السياسات الحكومية والتشريعات في هذه المرحلة من نشوء (الامبريالية الصحية) لمواجهة نمط اجتماعي اقتصادي من الصراع المحتدم بين العمل وراس المال الاخر في مراحله التكييفية الاولى المتمثل بقيد كلفة الانتاج الصحي في الانشطة الانتاجية الاخرى من خارج الامبراطورية الصحية الى مطالب تعويضية في الاجر تقودها نقابات العمال بقوة ولاسيما من حيث تعويض ساعات التعطل القسرية وتحديد ساعات الاشتغال في ظروف صحية آمنة وتعويضات المرض عند حدوثه، ما يعني الميل الحتمي الى تقاسم الارباح والفوائض لمصلحة الاجر من جهة وتحويله بشكل غير مباشر الى ارباح وفوائض للنظام الصحي الامبريالي (المهيمن على مفاصل الحياة وحركتها) من جهة اخرى. اذ ستجسد الامبريالية الصحية دورها بكونها هيئة اركان حرب مستمرة ضد العدو او المرض المجهول.

وهكذا سّتولد الامبريالية الصحية نظام رأسمالي تناحري شديد الصراع وباتجاهين: الاول صراع راس المال الصحي Capitalism Health-Oriented مع الرأسمالية غير الصحية Non-Health Oriented Capitalism في الهيمنة الاحتكارية وتطويع السياسات العامة وتقاسم الارباح والفوائض وتحويلها عبر ماكنة استهلاكية مستجدة وتوزيع عبء تكاليف العمل على الانتاج غير الصحي القليل الربح، والثاني، ظهور قوة عمالية تعمل في بيئة خطرة باستمرار وامامها تحديان العدوى وتجنبها او الموت. وستبقى تطالب بتعويضات اجرية عالية على المخاطر في ظل تلقي موجات من البطالة والتسريح من العمل في الوقت نفسه،
وهو صراع لمقاومة تقليل فرص الربح في القطاعات الرأسمالية الاخرى وتحويلها لمصلحة راس المال الصحي.

اذ تساعد موجات البطالة وتراكمها المستمر في ازدهار سعة الامبراطورية الرأسمالية الصحية المهيمنة والمستجدة لتعبر عن نفسها في ادارة عالم انتاجي بأنماط مختلفة في ادامة الحياة ضمن بيئة وقائية لم يعتد عليها العالم من قبل، وهي تمتلك في الوقت نفسه القدرة في استعمال الحرب الوقائية وادارة مؤسسات مقاومة المرض الازلي وحدها دون غيرها من حيث قوة الاحتكار الرأسمالي .

وبهذا سيظهر الاقتصاد الرأسمالي المركزي وتوابعه الملحقة (لما بعد كورونا) ولادة بيئة صراع جديدة في مكونات دالة الانتاج المركزية نفسها وتبدل راس المال وتحوله في عمليات استيلاء واستحواذ Taking Over لم يشهدها تاريخ الرأسمالية من قبل، فضلا عن حصول تكييفات (موجبة) متسارعة في التكنولوجيا البيولوجية والهندسة الجينية لمصلحة الامبراطورية الصحية وبيئات العمل المستجدة ذات الكلفة المتسارعة.

كما ستمثل استدامة رأس المال الصحي الهيمنة التاريخية على حصة واسعة من الارباح وتقاسمها لتكون على حساب ولادة ظواهر اقتصادية (سالبة) مستمرة من الركود التضخمي (اي بطالة وتضخم مرة واحدة وبأكثر من مرتبة عشرية واحدة وباستمرار) وهو ما يسمى: بالركود التضخمي لما بعد كورونا Post Coronavirus Stagflation اذ ستقود الظاهرة الركودية للتضخم الى اضطراب الاقتصاد الرمزي Token Economy وتأثره بالركود التضخمي نفسه والذي أصبح اداة مساعدة على ظهور فقاعات سعرية مالية متعددة ومتعاقبة في اسواق راس المال بسبب تدهور فرص الربح وانتقال الفائض في القطاعات الحقيقية الراكدة والمتضخمة جراء ارتفاع عامل التكاليف والمخاطر الصحية كجزء من كلفة تعويضات المشتغلين وبيئات العمل.

اي بما فيها استمرار المطالبات العمالية بالتأمين ضد البطالة القسرية واحتمالاتها الدورية، والتأمين على الحياة خوفاً من العدوى او (العدو الوبائي) المجهول كما أشرنا آنفاً، لقاء التكاثر التلقائي والمستمر لهوامش البطالة في قطاع الاعمال غير الصحية. ان مثل هذا التبدل في انماط الانتاج والصراع في البنية التحتية الرأسمالية (سواء في علاقات الانتاج او قوى الانتاج) جميعها ستقود لامحالة الى انهيارات في اسواق راس المال التي غدت تناغم فقاعاتها السعرية الركود التضخمي في القطاع الحقيقي، وهو يضرب النمو في قطاعات هائلة من نشاطات الانتاج من خارج البيئة الانتاجية الصحية المهيمنة.

فاذا ما مرت دورات الاصول المالية والحقيقية للاقتصاد الكلي تحت تأثير التقلبات المتسارعة في الاقتصاد الرمزي Token Economy بسبب الركود التضخمي في نشاط الانتاج الرأسمالي غير الصحي، فان الاقتصاد الرأسمالي المركزي سيدخل في نفق مرحلة طويلة من البطالة والافلاس والكساد،

والذي سينتقل مباشرة الى القطاع الرمزي نفسه وانشطاره بين قوى خاسرة جراء فقاعة الركود التضخمي وقوى تتمتع بالركوب المجاني الربحي .Profitable Overrides

اي انها ستعتاش على انسحاب القطاعات المنتجة المتعثرة بالركود التضخمي ولمصلحة انتعاش الاصول المالية للقطاع الصحي نفسه .كما سيرافق ذلك توافر سياسات حكومية لدعم سيولة الاقتصاد وهو ما يعبر عنه بسياسة التيسير الكمي QE اذ امتص البنك الاحتياطي الفيديرالي في الولايات المتحدة قبل سنوات،
ترليونات الدولارات من الاصول الرديئة او اذونات الخزينة في محفظة موجوداته لضمان سيولة النشاط الاقتصادي الحقيقي عبر الاقتصاد الرمزي ولكن ستصب في النهاية بصورة تراكمات كبيرة لمصلحة الرأسمالية الصحية الاحتكارية التي مارست الحرب ضد وباء كورونا.

المرحلة الثانية من الصراع / نشوء الرأسمالية الاجتماعية:

كما بينا آنفاً، ان الصراع داخل معسكر راس المال المركزي سينتقل ويتوزع مباشرة بين سياسات الحكومة والقوى العاملة العاطلة والرأسمالية الخاسرة من جهة وتحوله الى صراع داخلي مع الرأسمالية الصحية الاحتكارية والقطاعات الواسعة الملحقة بها من جهة اخرى، مما ستولد جهة صراع اجتماعي قوية تتحالف فيها القوى العاملة والرأسمالية الحقيقية المتضررة من الاحتكارات الرأسمالية الصحية.

في حين ستتوجه السياسات الحكومية الى تصحيح المسار في خضم الصراع البنيوي الفوقي والصراع البنيوي التحتي نحو تحريك دوال الانتاج واستقرار علاقاتها. وستستقر في نهاية المسار الى تفكيك فوائض القطاع الصحي الاحتكارية وطغيانها واستبدادها بفرص الربح على حساب جروح وآلام النظام الرأسمالي نفسه.

وهنا تأتي التسوية التاريخية بغية استقرار التكاليف في القطاعات الاخرى المنتجة والقضاء على مظاهر الركود التضخمي وتحويل فوائض القطاع الصحي واعادة توزيعها الى مشاركة انتاجية في القطاعات الاخرى وهي بداية النهاية للنظام الرأسمالي الامبريالي الصحي برمته ونشوء الرأسمالية الاجتماعية Social Capitalism الاكثر استقراراً.

الخلاصة:

أ- تمثل هذه الدراسة الكيفية التي اثارها جورجيو اغامبين في فلسفة (الاستثناء) ليتاح لنا اسقاط فكرة (الحياة العارية لحروب النظام الرأسمالي المعولمة Globalize The Bare Life Capitalist System's Wars of the) ذلك بخلق ازمة مفتعلة في النظام المذكور لتدوير الفائض الاقتصادي على الصعيد العالمي وتسهيل نهبه من خلال افتعال جائحة كورونا كنمط من انماط الحروب الكونية للسيطرة على العالم واخضاعه اضافة الى نهب فوائضه الحقيقية والكامنة انها الإمبريالية الصحية التي دخلت الحرب الكونية باستثناءات حدد مداياتها فيلسوف ايطاليا جورجيو اغامبين في الحياة العارية للإمبريالية Imperial Bare Life في عصر الاحتكارات الصحية العالمية.

ب- فلسفيا وفي تقديرنا، فان (الاستثناء) لاغامبين و (البيولوجيا السياسية) للفيلسوف ميشيل فوكو و (الاستجواب) لفيلسوف فرنسا لويس التوسير، هو نمط ماركسي مجدد يعبر عن فلسفة (الاغتراب Alienation) ولكن يتناول البنية الفوقية للمجتمع اضافة البناء التحتي اي علاقات الانتاج وقوى الانتاج.
وهو اسلوب لتعظيم الاغتراب ونهب الفائض الاقتصادي من القوى المنتجة بتعميم الاستثناء عبر الظواهر التي تحل الرأسمالية فيها أزمتها بأبنيتها الفوقية وبولوج عالم آخر عنوانه: الامبريالية الصحية.

عن الكاتب:

د. مظهر محمد صالح هو باحث أكاديمي ومستشار رئيس الوزراء المالي.

جميع حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة الى المصدر.

iraqieconomists.net
info@iraqieconomists.net
+964 786 629 6600